

# الأديب و المُفكّر الرَّاحِل رَمَضانَ عَبدِ الرَّحمنِ لَأوَنَد

خاطرة جريدة المساء

-6-

يقال: إنّ الفضول هو أبو التقدّم.

والتقدّم في واقع التاريخ هو الكشف عن أسرار الكون والطبيعة والحياة ثم الإفادة من هذا الكشف على صورة من الصور، والغرض من التقدّم هو تحقيق المزيد من القوّة والثراء والتنظيم بحيث تصبح فرص الاستمتاع بالحياة أكثر توفيراً.

والاستمتاع بالحياة لا يعني الجانب المادي وحسب بل يستوعب الجانب الأدبي.. والجانب الأدبي أخطر أثراً في تغذية الحس الحضاري رغم أنّ الجانب المادي أكثر وضوحاً وألصق بالحواس. وليس أدلّ على ذلك من أنّنا نحن أبناء هذا البلد نتمتع بأحدث إنجازات التكنولوجيا التي هي سمة العصر الكبرى بفضل ما أفاد الله به علينا من الثروات التنظيمية ولكننا لا نزال نواجه عاجزين كسل قضايا الثقافة والمشكلات الاجتماعية ونسجّل عجزاً في ميدان السياسة القومية على اعتبار أنّنا مرتبطون مصيرياً بالوطن العربي الكبير.

والجدير بالذكر أنّ الإنجاز الحضاري الضخم لا يتمثّل في الحصول على السلع التي تنتجها التكنولوجيا المعاصرة وحسب بل تتمثّل في الحصول أيضاً وبصورة خاصة في الهيمنة على التكنولوجيا والقدر والقدرة على استيعابها بحيث نتولى صنع السلع التي تحتاج إليها بالإضافة إلى قدرتنا على إحياء ثقافة أصيلة قادرة على تنمية الروح العلمية عندنا وعلى تمكيننا من استيعاب القيم والنظم والتقاليد والأوضاع الاجتماعية التي تصلح أن تكون حجر الأساس للعلم النظري والتطبيقي.

وما دام أنّ فضولنا يتّصل بالسلع الاستهلاكية وحسب فنحن عيلة على سوانا من الغرباء ونحن مقصّرون في استيعاب مفهوم الحضارة الأصيلة.

إنّ الفضول الحقيقي الذي تصنع الحضارات البشرية في ظلّه هو الذي يسعى إلى المعرفة من كلّ جوانبها، إنّه تلك القوّة الخارقة التي تدفعنا إلى الكشف عن أسرار النفس والحياة وإلى الغوص في أعماق الارض والانتشار

في البحر والانطلاق نحو الفضاء، إنّه بعبارة أخرى المصدر الأكبر لروح البطولة التي نتصر بها على واقع حياتنا نحدث بها التغيير المطلوب ونتحرّك مع كوكب الحياة والإحياء.

فالفضول الحقيقي يبعث الشباب في العقل ويغذي القلب بالعقيدة ويلزم صاحبه بالقيم الموصولة بهذه العقيدة ويجعل من الأخلاق قوّة فاعلة ببناءة.

والفضول الحقيقي هو الذي يخرج إلى دنيانا رجل العلم وصانع الفن وكاتب الأدب الرفيع والقائد السياسي المؤمن بمصير أمته، والعسكري البطل يغذي في نفوسنا روح التضحية في سبيل ما نعتقد أنّه الحق ويحثنا على اقتحام المجاهيل في عالم تستحيل الإحاطة به مهما أدّينا من قدرة على الانتشار ومهارة في الصنع وعمق في الإحساس وبراعة التفكير..

الكتاب لا يصنع العالم الحقيقي المبدع إن كان الكتاب ضرورياً بالمعالم للعالم.

واللغة لا تصنع الأديب العبقري وإن كانت مادة هذا الأديب التي لا غنى عنها.

والكون والطبيعة وما فيهما من قوى وطاقات لا تصنع المخترع وموضعه.

إنّ المطلوب هو تغذية روح الفضول التي تدفعنا إلى البحث عن المجهول فهي سر التقدّم وصناعة الحضارات ومصدر الحريات التي تتقرر بها مصائر الأمم.